ابن حربون حياتة وموضوعاته الشعرية

م.م زمن عبد العباس حسن

جامعة بغداد/كلية الاداب /قسم اللغة العربية

M.M., zaman Abdel Abbas Hassan
University of Baghdad/College of Arts/Department of Arabic Language
zaman.Abdulabbas1202a@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

تأثّر الأدب العربي في الأندلس بالصراعات السياسيّة التي توالت آنذاك وأنتجت مجموعة من العصور كان من بينها عصر الموحدين، وكان لكلّ عصر شعراؤه، فكان ابن حربون من بين شعراء الدولة الموحديّة، التي كان لها أثر كبير في الواقع السياسي والاجتماعي والحضاري، وقد خاض ملوك هذه الدولة مجموعة من الحروب، وحقّقوا فيها الانتصارات، وكانت مدعاة للمدح والثناء، وقد ظهر عدد من الشعراء واكبوا تلك الأحداث وسجّلوها وكان من بينهم الشاعر أبو عمر بن حربون الشلبي.الكلمات المفتاحية: ابن حربون، اشبيلية، الأندلس، المدح، .

Abstrac

Arabic literature in Andalusia was influenced by the political conflicts that took place at that time and produced a group of eras, among which was the Almohad era. Each era had its poets. Ibn Harboun was among the poets of the Almohad state, which had a great impact on the political, social, and cultural reality. The kings of this state fought A group of wars, in which they achieved victories, were a cause for praise and praise. A number of poets appeared who accompanied these events and recorded them, and among them was the poet Abu Omar bin Harboun Al-Shalabi. Keywords: Ibn Harboun, Seville, Andalusia, praise

أولاً. حياته:ابن حربون شاعر أندلسي من شعراء القرن السادس الهجري، أكثرت من ذكره مصادر الأدب إلّا أنّ الحصول على سيرة وافيه له، تكاد تكون متعسّرة، وما وصل إلينا من أخبار تتصل بحياته قليل، على الرغم من الإشارات الكثيرة التي تشهد بها مصادر الأدب الأندلسي ولا سيما (المنّ بالإمامة، وزاد المسافر، والحلّة السيراء، وتحفة القادم، والبيان المغرب) وغيرها من الكتب التي ذكرت الشاعر، ولكن سنهتدي بهدي ما تمّ الحصول عليه من معلومات يسيرة من هذه المصادر مع الاستعانة بشعره؛ لنخرج بدلالات تعين – إلى حدّ ما– في تقديم صورة عن حياته بمختلف تفرّعاتهااختلفت المصادر في ذكر اسم هذا الشاعر، فابن صاحب الصلاة (ت٥٩٤هـ) قال: إنه (أبو عمر بن حربون)[١]. وزاد عليه أبو بحر التجيبي (ت٥٩٨هـ) في كتابه فقال (أبو عمرو بن حربون الشلبي)[٢]. وكذلك الرصافي البلنسي (ت٥٧٢هـ) إلّا أنّه قال عنه: هو أبو عمر وليس (أبو عمرو)[٣].أمّا ابن الأبّار (ت٦٥٨هـ) فقال: (... أبو عمر أحمد بن عبد الله بن حربون...)[٤]. وقد مضى ابن عذاري في كتابه على نهج ابن صاحب الصلاة، فقال: (وقال أبو عمر ابن حربون...)[٥]. فشاعرنا هو (أبو عمر أحمد بن عبد الله بن حربون الشلبي) ولم تذكر هذه المصادر شيئا عن مولده أو وفاته أو ما يتعلق بنشأته أو أسرته، فنحن لا نعرف شيئا عن أجداده ولا عن أبيه أو زوجه وبنيه؛ وربما يعود سبب ذلك إلى اضطراب الأحوال السياسية، فتأثّر الأدباء بهذه الأحوال، وأثّرت فيهم في هذه المدّة بالذات، فالحياة غير مستقرة وعطاؤهم غير متواصل، ومن ثم لم يوجد في هذه المدّة من يتتبع أخبارهم بالتدوين لها، إلّا أنّ هذه المصادر أشارت إلى أنّ الشاعر ابن حربون ينتسب إلى مدينة تسمّى شلب[٦]وتعدّ شلب (sliver)(*) مدينة مشهورة بالأدباء، وتقع حاليا في جنوب البرتغال تتميز بطبيعة جميلة حدّثنا عنها صاحب الروض قائلا: ((شلب من بلاد الأندلس ... لها بسائط فسيحة وبطائح عريضة ولها جبل عظيم كثير المسارح والمياه، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب يتضوع منه روائح العود إذا أرسلت فيه النار))[٧].ومن عجائبها أنه قلّ أن ترى من أهل شلب من لا يقول شعرا ولا يعاني الأدب[٨]، وفي شلب يقول الكاتب أبو عمرو بن مالك بن سيدمير: (من الخفيف).

أشْجَاكَ النَّسِيمُ حينَ يَهُبُّ	**أمْ سَنَى البَرْقِ إذْ يَخُبُّ ويَخْبُو؟**
أمْ هَتُوفٌ عَلَى الأَرَاكَة تَشْدُو	**أمْ هَتُونٌ مِنَ الغَمَامَةِ سَكْبُ؟**
كُلُّ هَذَاكَ للصَّبَابَةِ دَاع	**أيُّ صَبٍّ دُمُوعُهُ لا تَصبُّ؟**
أنَا لَوْلا النَّسِيمُ والبَرْقُ والَوْر	**قُ وَصَوْبُ الغَمَامِ مَا كُنْتُ أصبُوْ[٩]**

عاش ابن حربون قريبا من السلطة، وكان شاعرها بل كان من خواصها، وتذكر المصادر بأنّه كان شاعرًا وكاتبًا، فقد عمل كاتبـًا لابن قُسَي(*) زعيم المريديـن ((وهم طائفة دينية خاصة تستشعر التقشف والتزهد))[١٠]. ثم كاتبًا للسيد أبي حفص بن عبد المؤمن(*) وطلبة الحضر(**) إلى أن مني بالحرمان و العزل، فقد طرد من الوظيفة في القصر الموحّدي ممّا جعل أدبه يتراجع، وهذا ما أكّده ابن صاحب الصلاة في قوله: ((وأما أبو عمر بن حربون فطالبته معارفه، وذنبته أفعالها وأقلامه وأشعاره حتى تمكنت من حرمانه وحطه حسبما أذكره في هذا التاريخ))[١١]وربما يكون السبب راجع لعوامل سياسية أو للحسّاد، فقد نال ابن حربون منزلة كبيرة عند أمراء الموحّدين، وهي منزلة دفعت عبد الله بن علي بن ثقفان لإطلاق اسم (شاعر الدولة الموحدية)[١٢]عليه من بين كمّ كبير من شعراء الأندلس الذين التقوا في ذلك البلاط منهـم: ابن المنخل الشلبي، والأعلم الشنتمري، وابن الشوّاش(***) وغيرهم، فقد كان شعره يطفح بالروح المذهبية التي قامت عليها الدولة الموحدية وهذا طبيعي؛ لأنّه كان شاعر البلاط،

فمن المؤكد أن يأتي شعره منسجمًا مع الروح المذهبية التي يعتنقها القصر، والأمثلة على ذلك كثيرة، من ذلك القصيدة التي قالها ابن حربون بمناسبة انتصارهم على المرتدين، والحديث عن بطولات أمراء الدولة الموحدية والتي منها: (من الطويل).

نَزَلَتْ عَجَاجَ المَوْتِ ثُمَّ تَكَشَّفَتْ ... وَقَدْ فَازَ بالنَّصْرِ الجَلِيدِ المُجَالِدُ

وَمَا يَصْنَعُ السَّيْفُ المُصَمَّمُ في الوَغَى ... إذَا لَمْ تُسَاعِدْهُ عَلَى الضَّرْبِ سَاعِدُ[١٣]

وكذلك قصيدته التي بدأها (بالحمد لله) عندما طلب منه الأمير السيد أبو يعقوب(*) ذلك لانتصارهم على المرتدين والمخالفين في فتح بوقعة، فقال ابن حربون: (من البسيط).

الحَمْدُ للهِ مُدْنِي شَاسِعِ الأَمَلِ ... وَنَاظِمِ الشَّمْلِ في سِلْكٍ مِنَ الجَدَلِ

وَمَن أَتَاحَ لنَصْرِ الدِّينِ طَائِفَةً ... تَضَمَّنَتْ رِيَّ هِيمِ البِيضِ وَالأَسَلِ[١٤]

وفي هذا الصدد يقول الفقيه الخطيب أبو محمد المالقي:(استحسن الأمر – أدامه الله – لأبي عمر حين صاغ فيها المذهب المراد، وقصد فيها الاقتصاد، وسبق أصحابه الشعراء القصّاد، وتقرّب للأمر العزيز –أدامه الله– بأغراضه النبيلة، فعلى ذكره وشاد))[١٥]، ولم يكن لشاعرنا هذا أيّ ذكر قبل اتصاله بابن قُسي فقد كانت أخباره منقطعة[١٦]. إذ كان أول ظهور له سنة (٥٥٧هـ) مهنّئًا ومادحًا أمير الموحدين أبا يعقوب وأخاه أبا حفص بمناسبة البيعة وانتصارهم على المرتدين في جبل السبكة(*) بغرناطه يقول ابن صاحب الصلاة: ((ووفد مع الشعراء أبو عمر ابن حربون فقال مهنّئًا على هذه البيعة السعيدة)[١٧]وظهر مرّة ثانية بين ثنايا كتاب المنّ بالإمامة بقصيدة طويلة قالها بمناسبة اجتماع الأخوين أبي حفص وأبي سعيد عثمان والي قرطبة بجبل طارق سنة (٥٦٠هـ) قال فيها: (من البسيط).

هَذَا الذي وَعَدَ اللهُ العِبَادَ بِهِ ... قَدْ أُنجِزَ الوَعْدُ حَقًّا وَانْتَهَى الأَمَدُ

هَذَا سَلِيلُ إمَامِ الحَقِّ بَيْنَكُمُ ... لا المَالُ مُدَّخَرٌ عَنْكُمْ وَلا الوَلَدُ[١٨]

ولمّا انصرف الأمير أبو يعقوب من فتح جبال غمارة(*)غالبًا ومنتصرًا إلى حضرة مراكش سنة (٥٦٢هـ) قال ابن حربون قصيدة حسنة يمدحه ويهنّئه على استيلائه على أعدائه وقتله لهم، قال فيها: (من الكامل).

نُورٌ أَضَاءَ بِمَغْرِبٍ وَبِمَشْرِقٍ ... لَمْ تَعْمَ عَنْهُ غَيْرُ عَيْنٍ مُضَلَّلِ

الأَمْرُ أَمْرُ اللهِ قَدْ حَفَّتْ بِهِ ... في اللوْحِ أَقْلامُ القَضَاءِ الفَيْصَلِ

أَلقَى لِسَيِّدِنَا الخَلِيفَةِ عِبْئَهَا ... فَزَعَ الشُّجَاعِ إلى الحُسَامِ المقْصَلِ[١٩]

وفي السنة نفسها، أي سنة (٥٦٢هـ) قال ابن حربون قصيدة يمدح بها الأمير ويهنّئه فيها: (من الكامل).

سُلْطَانُ وَضَّاحُ الجَبِينِ مُتَوَّجٌ ... وَتُقَى نَقِيّ الجَنْبِ أَشْعَثُ أَغْبَرَا

فَالطَّوْدُ لَيْسَ ثَبَاتُهُ عَنْ جِبْلَةٍ ... لَكِنْ لِهَيْئَتِهِ أَزَمَّ ووَقَّرَا

لإمَامِ عَدْلٍ بِالإمَامَةِ نَاشِئٍ ... لَمْ يَصْبُ قَدْ عَقَدَتْ يَدَاهُ المِئْزَرَا[٢٠]

وما إن حلّت سنة (٥٦٤هـ) حتى وجدنا ابن حربون يمدح الأمير الموحدي ويهنّئه بما صنع الله للموحدين في تيسير بطليوس(**) فقال قصيدة يصفه فيها: (من الطويل).

هُمُ القَوْمُ جَابُوا شَمْسَ كُلِّ ظَهِيرَةٍ ... ملاءً وَلاثُوا كُلَّ لَيْلٍ غَمَائِمَا

إذَا صَرَّحَتْ فِيهَا المَنِيَّةُ جَمْجَمُوا ... بِسِرِّ الظُّبَى فَاسْتَوْدَعُوهُ الجَمَاجِمَا

وإنْ أَحْجَمَ الأَبْطَالُ عَنْهَا رَأَيْتَهُمْ ... قَدِ اقْتَحَمُوا مِنْهَا إلى المَوْتِ جَاحِمَا[٢١]

إنّ المتتبع لشعر ابن حربون، يرى بوضوح تلك العلاقة الجيدة بالأمير أبي حفص، والتي جعلته يخص هذا الأمير بأكثر شعره، وأن الأمير استصحبه ليكون في جملة كتّابه، وقد كان ملتزمًا بهذه الصحبة لدرجة أنّه كان لا يروح ولا يغدو إلا بعد أن يستأذنه[٢٢] قال ابن صاحب الصلاة ((وكتب أبو عمر المذكور إلى السيد الأعلى أبي حفص يستأذنه في المشي إلى بنيه بشلب، وكان ملتزمًا عنده يكتب له مع الكتاب ..))[٢٣]وعلى الرغم من هذه المنزلة التي وصل إليها ابن حربون، فلم يحظَ بالاهتمام الكبير من النقّاد والدارسين، لذلك كان أشبة بالشعراء المغمورين الذين لم

يسلّط الضوء عليهم، والمتتبّع لحياته في كتاب (المنّ بالإمامة)، يلحظ أنّ نتاجه الشعري المتمثّل في مدائحه وتهانيه، تتوقف عند أحداث سنة (٥٦٤هـ)، إذ انقطعت أخباره بعدها، إلّا أنّ الدكتور علي الغريب محمد الشناوي ذكر في كتابه الذي جمع فيه شعره أنه عاش أيضًا في خلافة الأمير الموحّدي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقّب بالمنصور في الحقبة التي حكم فيها من (٥٨٠هـ –٥٩٥هـ)[٢٤]، إلّا أنّنا لم نَرَ له شعرًا في هذه المدة المذكورة.

ثانياً. موضوعاته الشعريّة: إن القارئ لشعر ابن حربون يجد أنّ معظمه يدور في غرض واحد، هو المدح السياسي، أمّا الأغراض الأخرى فهي إما متداخلة في هذا الغرض، أو قليلة الشيوع ، على الرغم من ذلك نجد لديه الوصف، والغربة والحنين، والهجاء، والشكوى، وشعر الجهاد، وشعر الاستصراخ، وشعره قليل إذا ما قورن بدواوين الشعراء الكبار، إذ اشتمل على (٥٨٣) بيتًا توزّعت على الموضوعات المذكورة آنفاً، فضلاً عن (ثلاثة) أبيات لم ترد في المجموع وقد خرّجتها من الكتب التي ذكرت شعره، وسأعرض هذه الأغراض بحسب كثرتها في الديوان.

١. **المدح:** فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجلّ الشعريّ لجوانب من حياتنا التاريخيّة، إذ رسم نواحي عدّة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء، وشجاعة القادة، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا،[٢٥] وقد عدّه العقاد من أفضل المقاييس لقياس حال الأمة والشاعر والأدب وذلك بقوله: ((والذي نعتقده أنّ شعر المديح من أفضل المقاييس لقياس حال الأمّة والشاعر والأدب في وقت واحد فيخطئ من يظن أنّ الأمم المترقية لا تمدح أو تقبل المدح من شعرائها، إذ المديح جائز في كل أمة ومن كل شاعر، فلا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيدة في مدح عظيم يعجب به، ويؤمن بمناقبه، ولا ضير على الأدب، أن يشتمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة التي يعرفها الغربيون أوالشرقيون))[٢٦]. إنّ المراد من المدح: ((تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا، وعرفوا بمثل هاتيك الشمائل))[٢٧] وقد حصر قدامة بن جعفر هذه المزايا التي يجب أن يتّصف بها الممدوح في خصال أربع وهي: ((العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة))[٢٨] ويعّد المدح من الأغراض الشعريّة التقليديّة التي حفلت بها دواوين الشعراء، ومنهم شعراء الأندلس، ((إذ طرق بابه معظم الشعراء وصالوا وجالوا في معانية وألفاظه))[٢٩]. المستمدة من بيئتهم العربية والإسلامية، وقد شغل غرض المدح المرتبة الأولى في شعر ابن حربون، وهو يتداخل عنده مع التهنئة وكان مدحًا سياسيًّا تقليديًّا، يتغنى فيه الشاعر بأمجاد الدولة، فيسجّل الانتصارات، ويشيع مبادئ الدولة الموحّدية بين الناس[٣٠]. لقد نال المدح أهمية كبيرة لارتباطه بالحكّام، والولاة، والساسة، وذوي الجاه[٣١]. إذ كان الشعراء يصفونهم بصفات كثيرة، منها: الأخلاق والمعاني الموروثة من كرم، وجود، وتواضع، وشجاعة، وعدل وما إلى ذاك، وفي هذا المعنى يقول ابن حربون في مدح الأمير أبي يعقوب: (من الكامل).

إنَّ الخَليفَةَ إنْ تَأخَّرَ عَصْرُهُ ... فَقَدِ احْتَوَى خُلُقَ الزَّمَانِ الأوَّلِ

مَلَكٌ تَسِحُّ عَلَى الوَرَى بَرَكَاتُهُ ... فَتَعُمُّ سَائلَها وَمَنْ لَمْ يَسْأَلِ[٣٢]

ويمدح الشاعر خلفاء الموحدين ويصفهم بالتدين وتحلّيهم بأخلاق الخلفاء الأوائل فبركاتهم عمّت الورى، فشملت الناس جميعا، وهذه إشارة واضحة لكرمهم وسخائهم، ويرفع الشاعر نسب الخلفاء الموحدين إلى قيس بن عيلان(*) ويلحّ على هذا الأصل الشريف كما يلح على انتمائهم إلى العروبة فيقول: (من الوافر).

جَمَعْتُمْ مِنْ بَنِي قَيْسٍ شُعُوباً ... تَسِيلُ بِهَا المَحَانِي والشِّعَابُ

تَجَانَسَ جيْشُهُمْ لَفْظاً وَمَعْنىً ... فَهُمْ عَرَبٌ وَخَيْلُهُمُ عِرَابُ[٣٣]

يبين الشاعر في البيتين السابقين بأنّ الممدوح جمع شعوباً كثيرة من بني قيس سالت بينهم الأودية والشعاب ولهم من الجيش الجرار ما يبهر الآخر في صورة بلاغية جميلة، فيرى أنّ ثمّة اتفاقاً بين الجيش المكون من الفرسان العرب والخيل التي يمتطونها فهي عربية ليس فيها عرق هجين.ويضفي الشاعر طابع القداسة والعصمة على الخليفة الموحدي، فممدوحه شخص معصوم من الخطأ؛ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) اجتباه وأيّده لنصرة هذا الدين، فهو يهدي بنوره إلى أرشد السبل، ومن هنا فهو لا يخطئ ولهذا تجب عدم مخالفته، فيقول ابن حربون في مدح أبي يعقوب: (من البسيط).

اجْتَبَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ أَمَّنَتْهُ ... مَدْحَضَ

وفي إطار المدح فالنصر الذي يحققه الموحدون، هو في رأيهم نصر من عند الله، بل لأهميته يشبهونه بالنصر الذي كان النبي (τ) يحققه، ونلحظ في أبيات الشاعر احتواءها على ألفاظ ذات دلالة إسلامية، فقد وظّف أسماء الملائكة في شعره، فجاء بلفظ جبريل (φ) ولم يأتِ بهذا اللفظ وينقله إلى شعره اعتباطاً، بل إنّه استعمل اللفظة بذوق ووعي وفهم، إذ جعل رعاية الله (□) لجيوش الموحدين بمدّهم بالملائكة وفي مقدمتهم جبريل (φ) لمساندتهم ودعمهم، ويقول في هذا المعنى: (من البسيط).

وَجَاءَ فِي سَرعَانِ الجَيْشِ يَقْدُمُهُ ... جِبْرِيلُ والمَلأُ الأَعْلَى لَهُ مَدَدُ

تَحُفُّهُ مِنْ جُنُودِ اللهِ طَائِفَةٌ ... لا يَنْهَدُ النَّصْرُ إلا آيةَ نَهِدُوا

مُجَرّبُونَ مِرَاسُ الحَرْبِ دَأْبُهُمُ ... فَكُلَّمَا صَدَروا عَنْ غَمْرَةٍ وَرَدُوا(٣٥)

ونلحظ عن طريق هذه الأبيات التي تغنى بها الشاعر بأمجاد جيش الموحدين أن مدحه جاء متماشياً مع الظروف التي أعانت على إنتاج نصّه الشعري، إذ ارتبط عنده المدح بالتمجيد والتعظيم وتوثيق الانتصارات في المعارك الحربية، أو قمع حركات الفتن والتمرد الداخلي التي واجهت دولة الموحدين، وكان أنصار الموحدين من الشعراء وابن حربون منهم يحرصون على إظهار مناقب الحكام، فالشاعر يمتدح ممدوحه بالكرم، وهي أنبل صفة مدحَ بها الشعراء العرب، وارتبطت سمة العرب قديمًا بهذه الصفة، فالشاعر وهو يمدح بهذه الصفة كأنّه يحفز الممدوح على البذل والعطاء ولا غرابة في ذلك، فهو يرى أنّ ممدوحه كريم جداً، وراحة يده تشبه المزن الذي يطبع على الأرض الخصب والنماء، وأنّ كريم طبعه يشبه الرافدين. يقول في هذا المعنى: (من الطويل).

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أنَّ للمُزْنِ جُودَهَا ... لَمَا سَارَ يَبْغِي الخَصْبَ في الأَرْضِ رَائِدُ

وَطَبْعٌ تَمَنَّى الرَّافِدَانِ لَوْ أنَّهُ ... يَمُدُّهُمَا مِنْهُ مَعِينٌ وَرَافِدُ(٣٦)

وكانت مدائح ابن حربون تتسم بالمبالغة والغلو، وهذا الشيء طبيعي؛ لأنّ من أبرز خصائص الشعر الخيال، فوظّف غرض المدح لتعظيم من يعجب به، ويؤمن بمناقبه، بالرغم من وجود المبالغة في هذا الغرض الذي بالغ في دور الممدوح في إرساء دعائم الدولة إلى حد أن ذكره يكشف الظلام، ورضاه يغسل الذنوب، فيؤكّد عظمة ممدوحه ومكانته الكبيرة. يقول في هذا المعنى: (من الوافر).

وَلَمْ نَذْكُرْكَ في الظَّلْمَاءِ إلا ... تَكَشَّفَ عِنْدَ ذِكْرِكُمُ الظلامُ(٣٧)

ويقول أيضاً: (من المتقارب).

وَلَمْ يُحْرَمُوا مِنْ رِضَاكُمُ ذُنُوباً ... بِهَا يَرْحُضُ الدَّرَنَ المُذْنِبُ(٣٨)

اتسعت دائرة المدح عند ابن حربون حتى وصل إلى مدح قريحة الممدوح، وقد استدعى هذا المعنى ان يجعلها في موازنة مع شاعر ألمعي سعيا منه إلى إظهار قوة هذه القريحة فجعل مما هو بديهي في مقاييسها صعبا على الألمعي يتيه فيه بحثاً وادراكاً، وهو بهذا الوصف خلق صورة شعرية تشير إلى قوة ادراك الممدوح ونبوغه الذهني في مقابل عجز الألمعي وقد وازن الشاعر بين العلم والعلم ولم يوازن بين العلم والجهل، لكي يبتعد عما هو بديهي ولا يثير اهتمام الممدوح ولا يُكسب رضاه. فيقول (من الكامل).

جَاءتْ قَرِيحَتُكُمْ بِكُلِّ عَجِيبَةً ... أعْيَتْ عَلَى الألبَابِ أن تُتَصَوَّرَا

فَإذَا الذي أدْرَكْتُمُوهُ بَدِيهَةً ... قَدْ تَاهَ فِيهِ الأَلْمَعِي مُفَكِّرَا(٣٩)

وأشاد الشاعر بعناية الخلفاء الموحدين بمجالس العلم، إذ كانت عنايتهم بأمر التعليم عظيماً، وكثيراً ما كان الخلفاء يشرفون بأنفسهم على مباشرته والحضّ عليه، قال ابن حربون: (من الطويل).

مَجَالِسُهُمْ رَوْضَاتُ نَجْد يَزِينُهَا ... مِنَ النُّورِ أجْنَاسٌ تُؤَامٌ وَفَارِدُ

مَجَالِس لَوْ تَرْقَى الكَوَاكِبُ نَحْوَهَا ... لَقَدْ بَاتَ تِلْميذاً لَدَيْهِمْ عُطَارِدُ

لَقَدْ عَمَرَتْ بِالعِلْمِ حَتَّى كَأنَّهَا ... لِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ فيهَا مَسَاجِدُ(٤٠)

يُلَمّح الشاعر في هذه الأبيات إلى اهتمام الموحدين بالعلوم، ولا سيما العلوم الدينية، وهذا واضح في قوله: (لكثرة ذكر الله فيها مساجد) وحرصهم الكبير على العناية بمجالسهم التي كانوا يعقدونها ((فقد جمعوا المجاميع العلمية المتنوعة، وسبقوا إلى التعليم الإجباري، وابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج التعليم، وكان كثيراً من خلفاء الموحدين وأمرائهم فقهاء علماء))[٤١].وكان من عوامل ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر تشجيع الموحدين للعلماء، وإجلالهم وإيثارهم على غيرهم، وكان لهذا التشجيع أثرٌ كبير في جذب علماء الأندلس إلى البلاط الموحدي.

٢. **الوصف:**الوصف ((هو فنّ دقيق لا يبلغ مداه إلّا الأدباء الذين يمتازون بالحسّ المرهف، والشعور الدقيق، والتعبير البليغ، مضافًا إلى ذلك معرفة شاملة بطبائع الأشياء ومقاييس الجمال وأصول الاجتماع))[٤٢].وقد ظهر الشعر الوصفي في الكثير من الأغراض الشعرية، وأظهر الأندلسيون فيه عبقرية نادرة ((ولمّا كان الشعر إلّا أقلّه راجع إلى الوصف))[٤٣]، فقد تعرض الشعراء إلى وصف طبيعة الأندلس الخلابة، ((فوصفوا الرياض وأنواعها والحدائق وأزهارها، بل أنطقت الأزهار فتفاضلت، وأجري الثناء على لسانها فمدحت))[٤٤]، وهي طبيعة خلبت ألباب الشعراء هناك بمفاتنها ومشاهدها، فأودعوها عصارة قلوبهم وعبروا من خلالها عن آلامهم ومطامحهم في الوقت نفسه، فجاءت بناءً على ذلك صورة حية ناطقه تعكس همومهم وتثير فيهم الشعور بصدق ووضوح. ولم يُقصر الشعراء الأندلسيون فنهم على الطبيعة، بما فيها من مظاهر فحسب، بل تجاوزوها إلى غيرها من موجودات، فكان وصفهم يغطي الطبيعة الحية، والطبيعة الصامتة، والطبيعة الصناعية، ولم يتركوا شيئا أثار فيهم إعجابًا أو خلّف اندهاشًا أو هزّ شعورًا إلّا قالوا فيه[٤٥]، فأصبح المنظر الطبيعي (قاعدة في السرد ولا يقوم المنظر أو المقامة أو الترجمة دون وجوده)[٤٦].

أ. **الطبيعة الصامتة:**تعدّ الطبيعة الصامتة من أكثر مصادر التصوير وأكثرها ملاءمة لمفهوم الطبيعة (فجمال الطبيعة جمال حسيّ)[٤٧]. ومن تعاون كلّ جزء من أجزائها يجعلها كائنًا خالدًا يضفي على قلب الشاعر الحبّ والجمال ويقصد بها مظاهرها ووجودها المتجسد في سهولها وبحارها، وأشجارها، وحدائقها، وغيرها، وقد تطرّق الشاعر ابن حربون في مدحه لخلفاء الدولة الموحّدية إلى وصف المدن ومنها مدينة مراكش وذلك من قوله: (من الكامل).

وَأَصِخْ لِذِكْرِ اليُوسُفِيَّةِ إِنَّهَا	مَنَعَتْ مَغَانِي الشِّعْبِ مِنْ أَنْ تُذْكَرَا
دَبَّجَتْهَا مِنْ حُسْنِ خَلْقِكَ جَنَّةً	وَسَقَيْتَهَا مِنْ جُودِ كَفِّكَ كَوْثَرَا
فَإِذَا سَقِيطُ الظِّلِّ رَفَّ بِزَهْرِهَا	لَقَطَتْ بِهَا كَفُّ النَّسِيمِ الجَوْهَرَا
لَوْ أَنَّهَا مِمَّا تَقَدَّمَ عَصْرُهُ	لَقَلَى الوَلِيدُ الجَعْفَرِيّ وَجَعْفَرَا
كَانَتْ كَظَهْرِ التُّرْسِ مَرْياً صَحْصَحاً	فَنَجَسْتَهَا لِلحِينِ رَوْضاً أَخْضَرَا[٤٨]

يكشف النصّ عن توظيف الشاعر لعناصر الطبيعة (مغاني الشعب، والظل، وزهر، والنسيم) والشاعر في هذه الأبيات يصف مدينة مراكش التي تعد من أهم المعالم الأثرية والحضارية في الأندلس وأجملها، وبين تحولها من أرض صلبة إلى بساتين خضراء، بدعم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وعموم الخير في تلك البلاد، التي لولا دخول الموحدين إليها لأصبحت خالية من الحياة، فأصبحت جنة في جمالها تفوق إحدى عجائب الدنيا، وهي شِعب بوان(*)، فجاءت المعاني توحي بالحضارة والألفاظ والتراكيب السهلة التي تعكس إحساس الشاعر المرهف بجمالها. ووصف الشعراء الأندلسيون الطبيعة الصناعية التي تتمثل بالأدوات والآلات والدواليب وغيرها، وقد قدّم ابن حربون صورة وصف فيها رمح بسنانين اثنين متصلين في سعة السيف، صنعه أحد الصناع للأمير الموحدي، فقد عني الشاعر بوصف السنان فربطه بالحرب، وشبه شكله برأسي الأفعى، أو زباني عقرب وهو ما تضرب به من طرف ذنبها، ويدلّ وصف السلاح بهذا الوصف على القتل السريع وهو رمح له موقفه الحاسم في الهيجاء، فهو يتطلّع إلى الجهاد كما الفارس النشيط اليقظ في المعركة، فقال في ذلك: (من الكامل).

طَبَعَ الإِمَامُ مِنَ الأَسِنَّةِ لَهْذَمَا	لَمْ يَعْهَدُوهُ فِي أَسِنَّةِ مُعْضِبِ
رُمْحٌ تَمَثَّلَ لِلأَعَادِي شَكْلُه	رَأْسَى شُجَاعٍ أَوْ زَبَانَا عَقْرَبِ
إِنْ هَزَّتِ الهَيْجَاءُ رَوْقَيْ ذَابِلٍ	يَوْماً تَلَقَّاهُ العَدُوُّ بِأَغْضَبِ
مَا ذَانِ إِلّا نَاظِرَانِ تَشَوَّفَا	نَحْوَ الجِهَادِ تَشَوُّفَ المُتَوَثِّبِ[٤٩]

ووصف الشاعر السفن الحربية، لكونها أداة من أدوات المعركة، قال ابن حربون: (من البسيط).

يَا مَنْ رَأَى الفُلْكَ فَوْقَ المَوْجِ طَافِيَةً	كَما كَفَأْتَ قِبَاباً وَسْطَهَا العَمَدُ
يَنْسَابُ مِنْهُنَّ فِي أَعْلَى غَوَارِبِهِ	أَسَاوِدٌ سَكَنَتْ أَجْوَافَهَا أُسُدُ

بَحْرٌ كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ بِصَهْوَتِهِ ... لُقْمَانَ والمَرْكَبُ الجَارِي بِهِ لُبَدُ
تَعَجَّبُوا مِنْ غُرَابٍ فَوْقَ غَارِبِهِ ... ثَهْلانُ ذوْ الهَضَبَاتِ الشُّمِّ أَوْ أُحُدُ[٥٠]

صوّر الشاعر السفينة الطافية فوق أمواج البحر وكأنّها قبّة شامخة سكنتها الأسود، وتشبيهه لها بجبل ثهلان أو أحد يدلّ على ضخامتها، وهذا الوصف يدلّ بوضوح على الحياة الجهادية التي كان يعيشها أهل شلب، في ظلّ الدولة الموحدية، وقيمة هذه السفن في نقل الجنود والذخائر، وتقديم المساعدة في الحرب في تلك المدة.

ب. **الطبيعة الحية أو المتحركة:**وتتمثل في وصف الحيوانات، كالفرس، والذئب، والغراب، والحمام، وغيرها، وقد عني الشعراء بذكر الخيل ولا سيما في هذا العصر(الموحدي)، لأنه عصر حروب وجهاد متواصل ممّا زاد من قيمة الخيل وأهميتها، لم يرد وصف الطبيعة الحية في شعر ابن حربون إلّا في أبيات رسم فيها صورة للخيل مع إنه وظف ألفاظها في عدد من أبياته الشعرية، قال الشاعر: (من الطويل).

وَعُوجٍ كأمْثَالِ السَّرَاحِينِ شُزَّبٍ ... قَرِيبٌ لَدَيْهَا النَّازِحُ المُتَبَاعِدُ
حِسَانٌ لَوْ أَنَّ الحُسْنَ نيلَ بِمَطلَبٍ ... لأَصْبَحَ تَسْتَمْلِيهِ مِنْهَا الخَرَائِدُ
إِذَا شَطْبَةٌ مِنْهَا بَدَتْ تَحْتَ فَارِسٍ ... بَدَا أَسَدٌ مِنْ فَوْقِ فَتْخَاءَ قَاعِدُ[٥١]

شبّه الشاعر الخيل بالذئاب في ضمورها وخفّتها وسرعة حركتها، فهي خيل أعوجية أصيلة، فاقت الخرائد الحسان في جمالها ورشاقتها، فالشاعر وصف الخيل ورسم لها صورًا فنية بديعة، وعدّها من وسائل القتال المهمة عبر إظهار ملامحها وصفاتها.

٣. **الشكوى:**فالشكوى: توجع من شيء و ((هو أن تخبر عن مكروه أصابك))[٥٢]. وهو فن من فنون الشعر الوجداني ولون من ألوان الشعر المتجدد، لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجة الحياة الاجتماعية القاسية في ذلك العصر، ولا سيما شكوى الزمان أو الدهريات وهناك من فروع هذا الفن شكوى الأهل والأصدقاء وندرة الوفاء واختفاء المعروف بين الناس[٥٣]، وكذلك فقد عُدّت الشكوى ((عاطفة أساسها الشعور بالحرمان ولعلها من أول الفنون التي تفصح عن عاطفة الإنسان المتشائمة والناقمة))[٥٤] وفي هذا المعنى يقول ابن حربون مخاطبًا صديقه الشاعر الرصافي البلنسي: (من البسيط).

إِنِّي أَبا حَسَنٍ قَدْ ضِعْتُ بَيْنَكُمُ ... وَقَلَّ مَا ضَاعَ حُرٌّ بَيْنَ أَحْرَارِ
أَتُسْلِمُونَ لَجَوْرِ الدَّهْرِ جَارَكُمُ ... وَلَمْ تَضِع قَطُّ فِيكُمْ ذِمَّةُ الجَارِ
وَكَمْ يَدٍ لَكَ عِنْدِي لَسْتُ أَكْفُرُهَا ... أَمْطَيْتُهَا مِنْ ثَنَائِي ظَهْرَ طَيَّارِ[٥٥]

يمثل معنى الشكوى والدهر وجوره محور النص بصورة شعرية يرسمها خيال الشاعر، فدلالة (لجور الدهر) جاءت على جهة الشكاية العمومية المجملة، إذ نسب للدهر تهمة الضياع الذي وقع على الشاعر لأسباب كثيرة منها ظلم البشر ومنها أحوال حياتية كالفقر والبلاء وغيرها، إذ تعد هذه الأمور المفصلة النواة الحقيقية لجور الدهر، ثم يخاطب الشاعر صديقه (أبا حسن) بصيغة العتاب الممزوج بالشكوى بأنّه وقومه أناس أحرار ومن باب الأولى عدم ضياع أحد وهو جار لهم، فكيف إذا كان هذا الضائع إنسانًا حرًّا مثلهم، والشاعر لا ينكر تلك النعم الكثيره التي أسبغها عليه صديقه في سالف الزمان فهو يذكرها صريحة عبر دلالة (كم يد لك عندي)، وهنا يتضح معنى جديد للنصّ يشير إلى أنّ الشاعر يشكو الفقر والعوز اللذين كنّى عنهما بجور الدهروقد عبر الشاعر عن ذاته الحزينة وآلامه الدفينة، فهو يُصرح عن خوفه من أن لا تسفر مدائحه عن تحقيق طموحاته وآماله، وشكوى ابن حربون هنا كانت نتيجة حتمية لدافع قلق كان قد عاشه، وهذا في الواقع قد دفعه لإعلان اعتزاله عن الدنيا وبهجتها، محاوراً نفسه حواراً داخلياً طالباً منها الصبر، وقد استطاع الشاعر أن يعبر عن قلقه النفسي والمادي بسبب الظلم الذي تعرض له، وهو حرمانه من وظيفته في القصر، مما أثّر في حياته المادية إلّا أنّه رضي بهذا الفقر لأنّ غنى النفس هو الأفضل، فيقول في ذلك: (من البسيط).

إِذَا المَدَائِحُ لَمْ يُسْفِرْ لَهَا أَمَلٌ ... فَخَلِّنِي لِمَنَادِيحِي وَأَسْفَارِي
فَقَدْ عَزَبْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا ... وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ صَبْراً أَمَّ صَبَّارِ
مَا أَصْعَبَ الفَقْرَ لَكِنِّي رَضِيْتُ بِهِ ... لَمَّا رَأَيْتُ الغِنَى فِي جَانِبِ العَارِ[٥٦]

٤. **شعر الجهاد:**الجهاد فنّ من الفنون العريقة في الشعر العربي، وهو أول الموضوعات التي تفرضها أحوال الحرب التي تحثّ الناس على الاشتراك فيها والجهاد في سبيل الله وترغيبهم في ذلك[٥٧]، وقد انماز الشعر الموحدي بالروح الحربية والمواجهات، ونحن لا نستغرب ذلك؛ لأنّ الدولة الموحدية عاشت مواجهات مع خصومها من المسيحيين، ومواجهات كثيرة من المرتدين في جبال غمارة ومواجهات مع ابن همشك(*) وابن مردنيش(**) فلم تكن تخلد للراحة، إلّا أنّ الموحدين استطاعوا إيقافهم، ونجحوا في تحقيق انتصارات كثيرة ضدهم، فأقبلت الوفود من الأندلس

يبايعون الموحدين ويعلنون ولاءهم لهم، ووفد الشعراء يبايعون ويمدحون، وذلك أنّ الخلفاء الموحدين أعلنوا أنّهم يتجهون إلى الأندلس للقيام بحقّ الله في جهاد أعداء الإسلام والمسلمين، وكان شعراؤهم يسمون هذه الحروب بالفتوح على غرار الفتوح الإسلامية، وكانوا أيضاً يواكبون الأحداث التاريخية في بلادهم، وإن كان هذا القول يصدق عليهم بوجه عام فإنّه يصدق على شاعرنا بوجه خاص؛ لأنّ أشعاره كلّها مواكبة بشكل دقيق لأحداث القصر، ولا غرابه في ذلك؛ لأنّه شاعر رسمي للبلاط الموحدي. ويرى ابن حربون أنّ جهاد الموحدين في سبيل بلاده يشبه جهاد الفاتحين الأوائل في الفتوحات ونشر الدين الحنيف، ويقول في ذلك: (من البسيط).

هُمْ جَدَّدوا مِنْ رُسُومِ الدِّينِ دَارِسَهُ ... كَانَ الوَرَى وَقَفُوا مِنْهَا عَلَى طَلَلِ
وَجَرَّدُوا للأَعَادِي كُلَّ عَادِيةٍ ... يُمْسِي ويُصْبِحُ مِنْهَا الدَّهْرُ في شُغُلِ[٥٨]

فالشاعر هنا يؤكد إحياء رسوم الدين ومواصلة طريق الأولين لنصرة الإسلام مشيرًا إلى أنّ القوة هي التي تردّ بها الحقوق، وحينما عبرت الجيوش الموحدية إلى الأندلس ثارت المشاعر الإسلامية في نفوس الشعراء، ومنهم ابن حربون كما في قوله: (من البسيط).

فَالآنَ قُلْ لِذَوِي الإلحَادِ شَانَكُمُ ... فَمَا لَكُمْ دُونَ هَذَا الأَمْرِ مُلْتَحَدُ
وَبَشِّرِ العُجْمَ أَنَّ العُرْبَ قَدْ دَلَفَتْ ... عَلَى العِرَابِ وَأَنَّ المُلتَقَى صَدَدُ
هَتِيكَ ثَانِيَةُ اليرْمُوكِ قَدْ رَجَفَتْ ... مَا إنْ لَكُمْ صَبَبٌ عَنْهَا وَلا صَعَدُ[٥٩]

انطلقت جيوش الموحدين للجهاد في سبيل الله والقضاء على ذوي الإلحاد من العجم، فابن حربون يهدّد العجم من الصليبيين بالعرب المسلمين بمعركة أشبه بمعركة اليرموك وأنّ مكان اللقاء هو ساحة الوغى، فيصف جيش الموحدين، وينعت الصليبيين بالعجم والإلحاد ((فهنا تمتزج العروبة بالإسلام امتزاجًا عجيبًا، حتّى لَيُخَيّل إلى المرء أنّه ليس ثمة فارق بين دافع ديني إلى الجهاد أو حتمية عربية تحفز على القتال))[٦٠]. فالعرب مرتبطون بحياتهم الأولى للإسلام وبفتوحاتهم وحروبهم الجهادية.تغنّى الشاعر أيضًا بضخامة جيش الموحدين وقوته، ووصف تقدمه نحو العدو، وكثرته وسرعة انتشاره بالجراد، وصوّر قوّته ونشاطه فهو جيش يضمّ الشجعان الذين لا يعرفون الوهن والتعب ويمتطون صهوات خيول أصيلة، فقال في هذا المعنى: (من البسيط).

هَا إنَّهَا كالدَّبَا تَنْسَاغُ نَحْوَكُمُ ... فِيهَا الحِفَاظُ وَفِيهَا الصَّبْرُ والجَلَدُ
تَرَى الكُمَاةَ التِي مَا شأْنُهَا خَوَرٌ ... عَلَى الجِيَادِ التي قَدْ زَانَهَا الجَيَدُ[٦١]

وفي قوله: (من المتقارب).

جُيوشٌ تَسيرُ وقُدَّامَهَا ... جُيوشٌ مِنَ الرُّعْبِ لا تُحْسَبُ
طلائعُهَا الملأُ الأكرمونَ ... فَلَمْ يخْلُ مِنْ مَلَكٍ مَقْرَبُ[٦٢]

وصف ابن حربون الدولة الموحدية عن طريق تصوير المعارك الحربية تصويرًا يحمل على الإعجاب والتقدير، إذ نرى جيش الموحدين وقد سارت قباله جيوش من الرعب لا حصر لها، تتقدمهم الملائكة والملأ الأكرمون، أراد الشاعر عبر هذه الصورة الفنية أن يبين سطوتهم وعلو كعبهم والتحكم والسيطرة في المعارك.

٥. **الهجاء**:هو فنّ إظهار العيوب والصفات الممقوته بين الناس بأسلوب سهل وبصورة مجسّمة تبدو أكثر من حجمها الطبيعي حتى تثير الاستغراب والتندّر[٦٣]، والهجاء باب قديم من أبواب الشعر العربي، اتخذته العرب وسيلة للذبّ عن أعراضها عن طريق هجاء العدو، وقد أشار النقاد القدماء إلى رسوخ هذا الفن وأصالته في الشعر، قال ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء: ((إلى أن الشعر يندرج في أربعة موضوعات عدّ الهجاء من ضمنها وهي الفخر، والمديح، والنسيب، والهجاء))[٦٤]. والهجاء أنواع، القبلي، والشخصي، والأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي، ويعدّ هذا الأخير أي –الهجاء السياسي– من أكثر اتجاهات الهجاء الأندلسي رواجًا وازدهارًا لارتباطه بدوافع سياسية فرضتها أوضاع الأندلس المضطربة في ذلك الوقت، وكذلك الفتن الداخلية بين أمراء البيت الموحدي حتّى اضطر بعضهم إلى تكليف الشعراء بهجاء إخوانهم وأقاربهم ممن يتنافسون على السلطة[٦٥]، وفيه يصدر الشاعر عن عصبيته للوطن أو الإقليم أو للدين أو للحزب الذي ينتمي إليه[٦٦]وينتمي الهجاء في شعر ابن حربون إلى هذا النوع أي (الهجاء السياسي) فهو يهجو أعداء الدولة الموحدية، ويسخر منهم ويجرّدهم من الفضائل والمناقب السائدة، ومن ذلك هجاؤه لابن مردنيش وهو أحد أعداء الدولة الموحدية، فصوّر افتضاح أمره بين الناس وشماتتهم به وسخريتهم منه، في قوله: (من الطويل).

مِنْهَا المَرْدِنِشيُّ بِهَا بَيْنَ البُيُوتِ

فالشاعر هنا يصوّر الخزي والعار الذي لحق بابن مردنيش حتى تكلمت به الولائد في المهد، ويقول أيضًا في أعداء الدولة الموحدية هجاءً يصف فيه هزائمهم أمام الأمراء الموحدين فيقول: (من البسيط).

صُمَّ صَدَى الغَاوِي يَنْبَحُ مَا لَم يَزْأَرِ

وقال أيضًا: (من الطويل).

كما جَاءَتْ أسُودٌ كما ولَتْ نَعَامٌ

وكذلك قوله: (من المتقارب).

ولا غَرْوَ أنْ صَالَ لَيْثُ الشَّرَى فَرَاغَ مَخَافَتَهُ الثَّعْلَبُ(٧٠)

ويلحظ على هذه الأبيات السابقة أنّ هجاء ابن حربون يحمل معاني التحقير والسخرية بالمهجو، فهو يقلّل من شأنهم ويزدريهم، ويصور جبنهم وفرارهم بـ(الثعلب والنعامة) فتصويره للمهجو هنا يغلب عليه التهكم والسخرية والاستهزاء، وسلب الفضائل والصفات الحميدة من المهجو، ووصف الشاعر قومًا من البرابر المرتدين عن الدعوة الموحدية(٧١) بصفات مثل الإلحاد والشغب، ويشبه أفعالهم بهذه الصفات السيئة، فيشير بذلك إلى أحقية حزب الموحدين في السيادة، وإلى صدق دعوتهم، فقال في هذا المعنى: (من البسيط).

فَالآنَ قُلْ لِذَوِي الإلحَادِ شَانَكُمُ فَمَا لَكُمْ دُونَ هَذَا الأمْرِ مُلْتَحَدُ(٧٢)

وقال أيضا: (البحر المتقارب).

فَلَمْ تَدَعُوا غَايةً تُنْتَحي وَلَمْ تَتْرُكُوا شَاغِبَايَشْغَبُ(٧٣)

الحنين والغربة: إنّ نزعة الحنين إلى الأهل والوطن والأحباب نزعة إنسانية متأصلة في الذات البشرية أودعها الله عزّ وجلّ فينا، بل حتّى في الطير والإبل وسائر المخلوقات(٧٤)، وهو تعبير عن رغبة ذاتية صادقة في رؤية الموطن الذي نشأ فيه الشاعر وما فيه من أهل وأحباب وأصحاب مشوبة بخلجات وجدانية صادقة، وأحاسيس مرهفة تثير الألم والأسى لفراقه والحسرة على نعيمه، والحنين باب قديم في الشعر العربي ((ولكنّ الأندلسيين ضربوا فيه بسهم وافر وصدروا فيما نظموه فيه عن عاطفة صادقة وإحساس مرهف فياض ونفوس معذّبة تجرّعت مرارة الغربة حتّى شكّل ظاهرة لها خصوصيتها، فكان حنينهم إلى الأندلس من أصدق ما قيل في هذا الباب))(٧٥)، ولعلّ السبب في هذا هو تلك الأحوال السياسية والاجتماعية المتقلّبة وضغوطها التي جعلت الشاعر الأندلسي يعيش غربة نفسية ووطنية وبدا التغرّب قدراً مكتوباً، فالشاعر ممزّق بين أن يبحث خارج مدينته أو وطنه عن الأمان وطلب الرزق، أو يعيش في إقصاء وتشتت روحي ونفسي عن أفراد مجتمعه؛ لهذا اختلطت في نفسه أحاسيس الضياع والشوق إلى الديار.وقد انماز ديوان الأندلسيين بقصائده المصورة للغربة والبعد عن الأهل والأوطان المشبعة بحنين متلهّف إلى قربها والتمرغ في أحضانها، ((وقد توسّع هذا اللون الشعري في أواخر أيام الدولة الموحدية بشكل لافت للنظر، عندما كانت الأحوال السياسية تجبر الكثير منهم على الهجرة وترك البلاد، فصوّر الشعراء هذه النزعة، وعبّروا عمّا كان يضطرم في نفوسهم من مشاعر الشوق والغربة والحنين إلى الأهل والديار))(٧٦)، وهذا اللون من الشعر قليل الشيوع في شعر ابن حربون، استطاع أن يعبّر فيه عن إحساس الشاعر المغترب عن وطنه، والبعيد عن أهله؛ لأنّه ترك موطنه في شلب ليعمل كاتبا في خدمة البلاط الموحدي، فيقول ابن حربون وهو يستأذن الأمير الموحدي في السير إلى شلب أبياتا تعبر عن حنينه إلى أهله وأبنائه في قوله: (من البسيط).

يَا خَيْرَ مَنْ عَبَدَ الرَّحْمَنَ عَبْدُكُمُ يَشْكُو إلَيْكُمْ فِرَاقَ الأهْلِ والوَلَدِ

فَإنْ أذِنْتُمْ لَهُ فِي أنْ يُطَالِعَهُمْ فَهَذِهِ دَارُهُمْ مِنْهُ عَلَى صَدَدِ(٧٧)

ويبدو أنّ الإحساس بالغربة كان يسيطر على الشاعر الأندلسي، حين يرحل من بلد إلى آخر أو من مدينة إلى مدينة آخرى، ممّا يدلّ على شدّة تعلّق الأندلسيين بموطنهم ويؤكّد انتماءهم العاطفي إلى هذا الوطن، قال ابن حربون مصوّرا ذكرياته في صباه، بحسرة وندم ووحشه: (من البسيط).

للهِ مَاهَاجَ لَمْعُ البَارِقِ السَّارِي عَلَى فُؤَادِ غَرِيبٍ نَازِحِ الدَّارِ

أَكَبَّ في الأُفْقِ مِنْهُ قَادِحٌ عَمِل يَنْقَدُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ زَنْدِهِ الوَارِي

مَلاعِبٌ نَثَرَتْ أَيْدِي الرِّيَاحِ بِهَا مَا شِئتَ مِنْ دِرْهَمٍ ضَرْبٍ وَدِينارِ(٧٨)

يبدو أنّ الشاعر يشكو من زمانه الذي ابتلاه بهذه الغربة التي اضطرته إلى ترك دياره وأحبته، فعبر في هذة الأبيات عن إحساس الإنسان المغترب الذي فجع بضياع وطنه وعانى من التشتّت والاغتراب، واستطاع أن يوظف المظاهر الطبيعية أدواتٍ تذكره بداره ووطنه، وإذا بثوب الدجى يشقه وهج الذكريات، فالبرق مزق وحشته، وذكّره بداره وأهله، وأعاد إليه ذكرياته الحلوة التي عاشها في صباه.إنّ السبب الذي جعل ابن حربون يهجر دياره وموطنه الذي ولد فيه، هو السعي في البحث عن حياة أفضل له ولأسرته، في ظلّ أحوال الحياة القاسية التي جعلته يترك دياره بحثًا عن بديل يأمن في ظلّه طوارق الزمن، فكان هذا البديل هو مصاحبة الأمير الموحدي، والعمل في بلاطه، والإخلاص له(٧٩). قال الشاعر مخاطبًا السيد أبا حفص: (من البسيط).

هَبْنِي نَبَتْ نبتي أَوْطَانِي لِبُعْدِكُمُ أفي جِوَارِكُمُ يَنْبُو بِيَ الوَطَنُ

وَلَيْسَ لِي حُرْمَةٌ دُنْيَا أمُتُّ بِهَا إلا الذِي أَوْجَبَتْهُ مِنْكمُ المِنَنُ(٨٠)

فقد وجد في الممدوح ما يصبو إليه من عيشة كريمة ورغيدة.

٦. **الاستنجاد والاستصراخ:** يرتبط هذا اللون من الشعر بطبيعة الأزمات والكوارث السياسية والعسكرية، التي عانت منها بلاد الأندلس الويلات والجزع، وهذا الفنّ يعني ((طلب النجدة ممّن يمتلك القوة والقدرة))(٨١) فيستنصر الضعيف بالقوي ويستصرخه فيهبّ للدفاع عنه ويردّ له حقوقه فهو دعوة إلى الجهاد والدفاع(٨٢)، وقد شكّل نتاج الشعراء في هذا اللون ظاهرة فنية لما تحمله مضامينه من معانٍ دينية ووطنية وإنسانية، فهو يعدّ من أبلغ الرسائل الشعرية وأصدقها عاطفة، وكان الشعراء يتوسلون لبلوغ هذا الغرض باختيار الكلمات المؤثرة، والألفاظ الجزلة الرنانة التي تسيطر على أحاسيس المستصرخ بهم ومشاعرهم لدفعهم إلى الإسراع والتعجيل في الإغاثة والعون(٨٣)وقد بدأ هذا النوع من الشعر في مرحلة مبكرة في الأندلس، ويرجع في نشأته إلى عهد الإمارة الذي تأسّس عام (١٣٨هـ) ثم أخذ هذا اللون جدّيته مع انحلال دولة بني أمية وقيام الثورات والدويلات الصغيرة، وسجّلوا فيه الأحداث التاريخية التي حدثت بين أهل الأندلس(٨٤). ثم أخذت قصائد الاستصراخ والاستنفار وطلب الغوث والعون تتكاثر في عصر أمراء الطوائف، إذ فقد أهل الأندلس مدناً ومواقع كثيرة استردّ المرابطون عدد منها وضاع عدد آخر(٨٥)ازدهر هذا النمط الشعري في عصر الموحدين بعد ضعف الدولة الموحدية وهزائمها المتكرّرة، وحصل بما يعرف بالانهيار الكبير الذي فقدَ فيه الأندلسيون الكثير من المدن، واستمر هذا النوع الشعري إلى آخر الزمان العربي في الأندلس(٨٦)، ((واتخذ فنّ الاستصراخ طابعًا شعبيّاً في هذا العصر بعد أن كان ذا طابع رسمي في عصر الطوائف))(٨٧). فقد أصبح الشاعر الأندلسي يمثل لسان حال مجتمعه في طلب العون والنجدة من أخوته في المغرب الذين يرتبط معهم بوحدة العقيدة والأخوة الإسلامية، وجاء فنّ الاستصراخ ممتزجاً مع غرض المديح في شعر ابن حربون وصار الممدوح فيه ناصرًا وحاميًا للدين ومغيثًا للمسلمين، ففي قصيدة يمدح بها الشاعر الأمير الموحدي ويهنئه على انتصاره في تحرير بطليوس، ويستصرخ ويستنهض عزائم أهل التوحيد والجيوش الإسلامية ليهبوا لإنقاذ إخوانهم من أهل الأندلس، قال فيها: (من الطويل).

وإنّي لأَرْجُو للجَزِيرَةِ كَرَّةً تُعِيدُ عَلَيْهَا عَهْدَهَا المُتَقَادِمَا

بِبَطْشَةِ غَيْرَانِ الحَفِيظَةِ مُغْضَبٍ إِنِ انْتَهَكَ الأَعْداءُ مِنْهَا المَحَارِمَا

وَجَلَّيْتُمُ عَنْ أُفْقِهَا بِسَنَاكُمُ غَوَاشِي كُفْرٍ قَدْ أَكَبَّتْ غَوَاشِمَا(٨٨)

يصوّر ابن حربون في هذه الأبيات الانتهاكات التي تعرّضت لها الأندلس من الأعداء، فالعدو انتهك حرمة العباد والبلاد وجعلها تستجير بالجيوش الإسلامية لتحريرها وتخليصها من ظلم العدو الكافر، فالشاعر يريد معركة تعيد ببطشتها الغيورة العزّة والكرامة لأهل الأندلس، وهو يثق بجيش الموحدين وقوّته لردّ العدوان، وباستجابته لاستصراخ أهل الأندلس، ورغبتهم في الجهاد في سبيل الله.ثم يمتدح الشاعر قوّة الجيش الموحدي، ويشير إلى كتب الاستصراخ التي أُرسلت إليهم ثم يبين سرعة رد الممدوح وجوابه في الدفاع عن ديار المسلمين، وصدّ العدوان، بمجرد تلبية الدعوة هوى على الأعداء كالشهاب، قال ابن حربون: (من الوافر).

أَتَتْكُمْ كُتْبُهُمْ مُسْتَصْرَخَاتٍ فَطَيَّرَ مِنْ كَتَائِبِكُمْ جَوَابُ

فَكَمْ مِنْ مَارِدٍ عَاجَلْتُمُوهُ كَمَا يَنْقَضُّ في الجَوِّ الشَّهَابُ(٨٩)

ويلحظ فيما تقدّم أنّ ابن حربون وظّف في شعره أغراضًا شعرية معروفة منذ القدم، متنوّعة بين مدح ووصف وهجاء وشكوى، وما إلى ذلك، عدّ المدح من أبرزها، إذ مجّد الشاعر في ممدوحه صفات الكمال كلّها، وأجاد أيضاً في شعر الجهاد والاستصراخ، فهي أغراض تعدّ سجلاً لمرحلة من تاريخ الدولة الموحدية.

المصادر والمراجع

١-تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، عبد الملك بن صاحب الصلاة، تحقيق، عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط:٢، بيروت، ١٩٨٧م .

(١) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ابن بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، تحقيق، عبد القادر محداد، بيروت، ١٩٣٩م.

(١) ديوان الرصافي البلنسي، أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي البلنسي تحقيق، إحسان عباس، دار الشرق، ط:٢، بيروت، ١٩٨٣م.

(١) تحفة القادم، أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٨٦م.

١) الحلة السيراء، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط:٢، القاهرة، ١٩٨٥م.

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، لابن عذاري المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وحمد بن تاويت، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٨٥م.

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، بيروت، ١٩٧٥م.

١) معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت.

(١)صورة الآخر في شعر ابن حربون الأندلسي، سيد أحمد عبد الرحمن محمد أبو عليو، مجلة حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، بنين بجرجا، مصر، ع:١٩، ج:٤، ٢٠١٥م،.

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(١٠٤١هـ)، تحقيق: أحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت.

١-المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي (ت: ٦٤٧هـ)، ضبطه وصححه وعلق عليه: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، المكتبة التجارية الكبرى، ط:١، القاهرة، ١٩٤٩م.

(١) من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس أبو عمر أحمد بن حربون، عبد الله بن علي بن ثقفان، المجلة العربية، الرياض، ٢٠١٩م، ٢٠، وصورة الآخر في شعر ابن حربون الأندلسي.

١-الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي(٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

(١) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي، د.علي الغريب محمد الشناوي، دار الكتب، ط:١، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١-والإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (ت:٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط:٢، القاهرة، ١٩٧٣م.

(١) من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس أبو عمر أحمد ابن حربون: ١٦، وصورة الآخر في شعر ابن حربون الاندلسي.

(١)المديح، سامي الدهان، دار المعارف، ط:٢، مصر، ١٩٦٨م.

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، مكتبة النهضة المصرية، ط:٢، القاهرة، ١٩٥٠م، ١٨، وصورة الآخر في شعر ابن حربون الأندلسي، ٣٠٠٨.

(١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، دار الشرق الجديد، ط:١، بيروت، ١٩٦٢م.

(١) نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، (ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، ط:١، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ.

(١) شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي: (رسالة ماجستير) أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد، إشراف: رائد مصطفى عبد الرحيم، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، ٢٠١٢م.

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، محمد مجيد السعيد، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.

١-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت ١٣١٥هـ)، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ٨٩/٢.

(١)وأخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط ،١٩٧١م.

(١)جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط:١، بيروت،١٩٨٧م.

(١) حضارة الموحدين، محمد المنوني، دار البيضاء، ط:١، المغرب، ١٩٨٩م.

(١) دراسات في النقد الأدبي، رشيد العبيدي، دار المعارف، ط:١، بغداد، ١٩٦٩م.

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، .١٩٨١م.

(١)الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

(١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، احسان عباس، دار الشروق، ط:١، عمان، ١٩٩٧م.

(١) فصول في الأدب والنقد والتاريخ، علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩م،.

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د. مصطفى محمد الشكعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

(١) الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، (رسالة ماجستير)، إشراف: عناد إسماعيل الكبيسي، كلية الأداب الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٨٨م.

(١)الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، حكمة علي الأوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١) شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤م.

(١) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١١١- ١١٢. الدَّبَا: أصغر الجراد، لسان العرب، (فصل الدال): ٢٤٨/١٤. والخور: الضعف والكسل، لسان العرب،(فصل الخاء).

(١) القصص القرآني في الشعر الأندلسي، أحمد حاجم الربيعي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط:١، بغداد، ٢٠٠١م.

(١) طبقات فحول الشعراء، أبو محمد بن عبدالله بن سلام الجمحي(ت ٢٣٢هـ)، تحقيق وشرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت.

(١) الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى، دار الوفاء، ط:١، الاسكندرية، ٢٠٠٧م،.

(١) شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، رانية أحمد ابراهيم، إشراف: وائل أبو صالح، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ٢٠٠٨م.

(١) في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر، ط:١، دمشق، ٢٠٠٠م.

(١)تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف، ط:١، القاهرة، ١٩٨٩م.

(١) الشعر في شلب من عصر الطوائف حتى سقوطها، (رسالة ماجستير)، رباح حامد بحر، إشراف: حسن فليفل، جامعة الخليل، ٢٠٠٩م.

هوامش البحث

(١) تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، عبد الملك بن صاحب الصلاة، تحقيق، عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط:٢، بيروت، ١٩٨٧م :١٧٥، و١٨٢، ١٨٦، ١٨٩ وقال أيضا إنه "أبو عمر بن أحمد بن حربون الشلبي": ٢٥٤.

(٢) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ابن بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، تحقيق، عبد القادر محداد، بيروت، ١٩٣٩م: ٦٣.

(٣) ديوان الرصافي البلنسي، أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي البلنسي تحقيق، إحسان عباس، دار الشرق، ط:٢، بيروت، ١٩٨٣م: ٩٧.

(٤) تحفة القادم، أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٨٦م: ٦٣، وقد زاد عليه في الحلة (الشلبي)، ينظر: الحلة السيراء، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط:٢، القاهرة، ١٩٨٥م: ٢٠١.

(٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، لابن عذاري المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وحمد بن تاويت، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٨٥م: ٦١.

(٦) الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، بيروت، ١٩٧٥م: ٣٤٢.

(*) يطلق عليها البرتغاليون اسم sliver وتلفظ (سلفش) ينظر: معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت: ٣٥٧.

(٧) الروض المعطار في خبر الأقطار: ٣٤٢.

(٨) معجم البلدان، ص ٣٥٧، ينظر: صورة الآخر في شعر ابن حربون الأندلسي، سيد أحمد عبد الرحمن محمد أبو عليو، مجلة حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، بنين بجرجا، مصر، ع:١٩، ج:٤، ٢٠١٥م، ٢٩٩٧.

(٩) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(١٠٤١هـ)، تحقيق: أحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت: ١٨٤/١ .

(*) ابن قسي: هو أبو العباس أحمد بن قيس من أصل قرطبي، وأنه كان كان في أول الأمر تاجرا ثم حدثته نفسه بالتشبه بالرسول الكريم (ت) فوهب أملاكه واعتزل الحياة، ينظر: المنّ بالإمامـة: ٢٣.

(١٠) المصدر نفسه: ٢٣.

(*) أبو حفص: هو عمر بن عبد المؤمن بن علي، كان وزيراً لأبيه عبد المؤمن استوزرهُ عند نكبة عبد السلام الكومي، وبعد وفاته أخذ البيعة لأخيه أبي يعقوب وسلم الأمر له ولم يطلبها لنفسه، وحمله على ذلك إيثار دينه وحب المصلحة للمسلمين؛ لأنه كان يعلم من نفسه أشياء لا يصلح معها لتدبير المملكة وضبط أمور الرعية فبايع الناس أبا يعقوب واتفقت عليه الكلمة، ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي (ت: ٦٤٧هـ)، ضبطه وصححه وعلق عليه: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، المكتبة التجارية الكبرى، ط:١، القاهرة، ١٩٤٩م، ٢٣٦.

(**) طلبة الحضر: هم الطلبة غير الموحّدين من العلماء الوافدين، ينظر: المنّ بالإمامة، ١٧٥.

(١١) المصدر نفسه: ١٨٧.

(١٢) من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس أبو عمر أحمد بن حربون، عبد الله بن علي بن ثقفان، المجلة العربية، الرياض، ٢٠١٩م، ٢٠، وصورة الآخر في شعر ابن حربون الأندلسي: ٢٩٩٩.

(***) ابن المنخل الشلبي: هو الشاعر محمد بن إبراهيم بن المنخل أبو بكر المهري الأديب الشلبي أحد الشعراء المجودين وكان يعرف علم الكلام، توفي سنة عشر الستين وخمس ماية. ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي(٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ٩/٢. والأعلم الشمنتري: إمام العربية أبو الحجاج= =يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي النحوي الأعلم، برع في اللغة والنحو والأشعار، وكان واسع الحفظ جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، توفي في بإشبيلية سنة ست وسبعين وأربع مائة ينظر المصدر نفسه، ٩٠/٢٩. وابن الشواش: هو محمد بن إبراهيم الجميمي أحد شعراء الأندلس في عصر الموحدين وهو ومن أهل بلنسية. ينظر: المصدر نفسه: ٩/٢.

(١٣) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي، د.علي الغريب محمد الشناوي، دار الكتب، ط:١، القاهرة، ٢٠٠٤م: ١٠٥.

(*) أبو يعقوب: هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمّهُ امرأةٌ حرّة اسمها زينب ابنة موسى الضرير، تولّى السلطة بعد وفاة أبيه عبد المؤمن مؤسّس الدولة الموحّديّة، وقد واجه في بداية حكمه بعض الاعتراضات من إخوانه الأكبر سنّاً، ولكنها زالت سريعا، ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ٢٣٧، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٨٣-٨٤.

(١٤) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٤١.

(١٥) المن بالإمامة: ٢٨٣.

(١٦) من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس أبو عمر أحمد بن حربون: ١٤.

(*) جبل السبكة: أو جبل السبيكة هو موضع في غرناطة يقع في الحدود الشرقية منها، وعليه تقع القصبة الحمراء، ويُذكر في بعض المصادر أنّ المكان يسمّى في بعض الوثائق بكُديَة ابن سَعْد. ينظر: المنّ بالإمامة، ص١٢٦،١٢٥، والإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (ت:٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط:٢، القاهرة، ١٩٧٣م: ١٢١.

(١٧) المنّ بالإمامة: ١٧٥.

(١٨) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٠٨.

(*) تقع جبال غمارة في شمال المغرب جنوب تطوان، وتعدّ هذه الجبال من أخصب جبال المغرب المشهورة، يسكنه قبائل كثيرة من غمارة ولها بسائط كثيرة لا تحصى للحرث، ومدن قديمة وآثار كثيرة للأوائل، ينظر: المنّ بالإمامة: ٢٣١.

(١٩) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٣٧-١٣٨.

(٢٠) المصدر نفسه: ١٢٢-١٢٣.

(**) تيسير بطليوس: مدينة تقع شمال إشبيلية شرقي يابرة، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، وهي بقعة جليلة على على ضفة نهرها الكبير المسمى الغور، والذي ينتهي الى حصن مارتلة، ينظر المن بالإمامة: ١٦٧.

(٢١) شعر أبي عمر بن حربون الشلبي: ١٦٠.

(٢٢) من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس أبو عمر أحمد ابن حربون: ١٦، وصورة الآخر في شعر ابن حربون الاندلسي:٣٠٠٠.

(٢٣) المنّ بالإمامة: ٢٥٥.

(٢٤) ينظر: شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ٩.

(٢٥) ينظر: المديح، سامي الدهان، دار المعارف، ط:٢، مصر، ١٩٦٨م: ٥.

(٢٦) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، مكتبة النهضة المصرية، ط:٢، القاهرة، ١٩٥٠م، ١٨، وصورة الآخر في شعر ابن حربون الأندلسي، ٣٠٠٨.

(٢٧) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، دار الشرق الجديد، ط:١، بيروت، ١٩٦٢م، ٥.

(٢٨) نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، (ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، ط:١، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ، ٧١.

(٢٩) شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي: (رسالة ماجستير) أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد، إشراف: رائد مصطفى عبد الرحيم، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، ٢٠١٢م، ٢٦.

(٣٠) ينظر: شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٧.

(٣١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، محمد مجيد السعيد، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م، ٧٩.

(٣٢) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٣٩.

(*) قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، كان مؤسس الدولة الموحدية يدعي هذا النسب وشعراؤهم فيما بعد يمتدحون حكّامهم بهذا الأصل الشريف، فيحين أصل زعيمهم المهدي بن تومرت من قبيلة هرغة من قبائل مصمودة، وخلفه عبد المؤمن زناتي من قبيلة كومية، وإن المحققين من المؤرخين لا يميلون إلى انتسابهم لقيس عيلان. ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت ١٣١٥هـ)، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب،

الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ٨٩/٢. وأخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط ،١٩٧١م، ٥.

(٣٣) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ٧٠.

(٣٤) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٤٢.

(٣٥) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٣٦) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٠٠.

(٣٧) المصدر نفسه: ١٥٤.

(٣٨) المصدر نفسه: ٧٩. ويرحض: يغسل. ينظر:جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط:١، بيروت،١٩٨٧م،٦٤/١.

(٣٩) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٢٨. والألمعي: هو الرجل المتوقدُ ذكاءً. ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور(٧١١هـ)، الناشر، دار صادر، ط:٣، بيروت،١٤١٤هـ، (فصل الحاء المهملة)، ٣٢٤/١.

(٤٠) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٠١.

(٤١) حضارة الموحدين، محمد المنوني، دار البيضاء، ط:١، المغرب، ١٩٨٩م، ١٤.

(٤٢) دراسات في النقد الأدبي، رشيد العبيدي، دار المعارف، ط:١، بغداد، ١٩٦٩م، ٢١٠/١.

(٤٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، .١٩٨١م، ٢٩٤/٢.

(٤٤) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ٢٧٨.

(٤٥) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ١٢٤.

(٤٦) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، احسان عباس، دار الشروق، ط:١، عمان، ١٩٩٧م، ١٦٢.

(٤٧) فصول في الأدب والنقد والتاريخ، علي أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٩م، ٢٢١.

(٤٨) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٢٧، والأصحّ قوله سقيط الطّلّ.

(*) شعب بوان: موضع في بلاد فارس منسوب إلى بوان بن إيران ابن سام بن نوح ،وهو أحد المواضع المشهورة في العالم بالحسن، فهو كثير الشجر والمياه ويعدّ من جنان الدنيا. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: ٣٤٨.

(٤٩) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ٧٤. اللهذم: الحاد والقاطع. ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:١، دمشق،١٩٧٩م، ٢٥٦/٥. وشجاع: من أسماء الأفاعي. يُنظرُ: لسان العرب: (فصل الشين)، ١٧٤/٨. وزبانا العقرب قرناها. يُنظرُ لسان العرب: (فصل الزاي)، ١٩٥/١٣.

(٥٠) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١١٠.

(٥١) المصدر نفسه: ١٠٣. وعوج: الخيل ويقال لقوائم الدابة عوج، والخيل الأعوجية منسوبة إلى فحل كان يقال له أعوج. ينظر: لسان العرب، (فصل العين)، ٣٣٣/٢. والشزب: الضامر، ينظر: المصدر نفسه، (فصل الشين المعجمة)، ٤٩٤/١. والخرائد: من النساء التي لم تمس قط، المصدر نفسه، (فصل الخاء)، ١٦٢/٣. والشطبة: الفرس السبطة اللحم وقيل: طويلةٌ. ينظر المصدر نفسه، (فصل الشين المعجمة)، ١٩٦/١.

(٥٢) معجم مقاييس اللغة: ٢٠٧/٣. وينظر: لسان العرب: (فصل الشين المعجمة)،٤٣٩/١٤.

(٥٣) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، د. مصطفى محمد الشكعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ٢٥٨.

(٥٤) الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، (رسالة ماجستير)، إشراف: عناد إسماعيل الكبيسي، كلية الأداب الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٨٨م، ٤.

(٥٥) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٢١.

(٥٦) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٢١.

(٥٧) ينظر: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، حكمة علي الأوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١١٦.

(*) ابن همشك: هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك، جده نصراني أسلم على يد بني هود بسرقسطة، وقد اتصل بالأمير ابن عياض أمير شرق الأندلس فتهيأ له بهذه الصلة أن يتأمر على شقورة وقلاعها، وغلظ أمره حتى ساوى ابن مردنيش، وداخله حتى زوجه ابنته، ثم فسد الأمر بينهما، كان جباراً عنيفاً شديد النكال عظيم الجرأة، وكان قد نازل قرطبة في زمن الموحدين ودمر زروعها، ثم صفا ما بينه وبين الموحدين في آخر أمره، واستقر بمكناس إلى أن توفي. ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب،٢١١.

(**) ابن مردنيش: هو محمد بن سعيد من زعماء شرقي الأندلس في أواسط القرن السادس الهجري كان أميراً على بلنسية ومرسية من قبل ابن عياض، ويعد أحد الثائرين الذين ظهروا في الأندلس في زمن الموحدين، وقد توفي ابن مردنيش سنة ٥٦٧هـ ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ٢١٨.

(٥٨) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٤٢.

(٥٩) المصدر نفسه: ١١١.

(٦٠) شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤م، ٧٦.

(٦١) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١١١– ١١٢. الدَّبَا: أصغر الجراد، لسان العرب، (فصل الدال): ٢٤٨/١٤. والخور: الضعف والكسل، لسان العرب،(فصل الخاء)، ٢٦٢/٤.

(٦٢) المصدر نفسه: ٨٠، والبيت الثاني مدوّر.

(٦٣) القصص القرآني في الشعر الأندلسي، أحمد حاجم الربيعي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط:١، بغداد، ٢٠٠١م: ١٨٩.

(٦٤) طبقات فحول الشعراء، أبو محمد بن عبدالله بن سلام الجمحي(ت ٢٣٢هـ)، تحقيق وشرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ٣٧٩/٢.

(٦٥) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: ٢١٣.

(٦٦) الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى، دار الوفاء، ط:١، الاسكندرية، ٢٠٠٧م، ٢١٩.

(٦٧) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٠٤.

(٦٨) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٠٨.

(٦٩) المصدر نفسه: ١٠٥.

(٧٠) المصدر نفسه: ٧٩.

(٧١) ينظر: المنّ بالإمامة: ٢٧٧.

(٧٢) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١١١.

(٧٣) المصدر نفسه: ٧٧.

(٧٤) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٢٢٠.

(٧٥) المصدر نفسه: ١٥٦.

(٧٦) المصدر نفسه: ٢٢٠

(٧٧) شعر ابي عمر بن حربون الشلبي: ١١٤.

(٧٨) المصدر نفسه: ١٢٠.

(٧٩) ينظر: شعر ابي عمر بن حربون الشلبي: ٤٩.

(٨٠) المصدر نفسه: ١٦٣.

(٨١) شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، رانية أحمد ابراهيم، إشراف: وائل أبو صالح، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ٢٠٠٨م، ٧٤.

(٨٢) في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر، ط:١، دمشق، ٢٠٠٠م، ١٦٠.

(٨٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٣٠٩.

(٨٤) ينظر: شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، (رسالة ماجستير): ٧٤.

(٨٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف، ط:١، القاهرة، ١٩٨٩م، ٣٧٨.

(٨٦) ينظر: في الأدب الأندلسي: ١٦١.

(٨٧) الشعر في شلب من عصر الطوائف حتى سقوطها، (رسالة ماجستير)، رباح حامد بحر، إشراف: حسن فليفل، جامعة الخليل، ٢٠٠٩م، ١٧٨

(٨٨) شعر أبي عمر ابن حربون الشلبي: ١٥٧.

(٨٩) المصدر نفسه:٧١.